75-960931

المورد

مجلة تراثية فصلية • تصدرها وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية - المجلد الرابع - العدد الرابع - ١٣٩٥ — ١٩٧٥

عرض للدعوة الاسلامية في عصرها المكي

بقلم

د. عمادالدين خليل

(١)

اخذت خلوات الرسول (ص) وانعزاله عن مجرى الحياة المكية الصاخب يزداد ويتسع وهو يقترب من الاربعين حيث اعده الله سبحانه لاول لقاء مع وحيه الامين من اجل تكليفه مسؤولية النبوة واخراج الناس ـ بها ـ من ظلمات الجاهلية ودنسها الى نور الاسلام ونقائه . فكان يغادر مكة بين الحين والحين ، مجتازا اسوارها الجبلية ، منقلا خطواته الثابته الواسعة عبر رمال الصحراء المترامية حتى تحجب عنه البيوت والاسواق ويغيبه الافق وتستقبله شعاب مكة وبطون اوديتها ثم يلج بعيدا الى جبل ثور حيث ينتهي به المطاف الى غار هناك يدعى (غار حراء) ، فيمكث فيه الايام والاسابيع الطوال ، لا يعود الى مكة الا ريثما يتزود بالطعام والماء ثم يقفل عائدا الى المكان الذي سيبعث فيه الى العالم كله . وتذكر الروايات انه كان يجاور في حراء من كل سنة شهرا فاذا قضى شهره ذاك انصرف الى الكعبة فطاف بها سبعا ثم عاد الى بيته(١) .

استغرق محمد (ص) في تفكير عميق مركز ، كان يشغله امدا طويلا ، تفكير في حالة قومه وفي اوضاعهم وفي تقريهم من الاوثان ، وفي الكون والحياة ومصير الانسان ، والموت وما بعد الموت ، وفيما شاكل ذلك من امور تطوف برأس المفكر المتبصر في هذه الحياة فتصرفه الى النظر فيها وتبعده عن التفكير في التماس الملذات التي يقع في غرامها الانسان في هذه السن على المعتاد .. كان الرسول حائرا مفكرا يريد الوصول الى شيء مقنع له مطمئن يحل له كل هذه الاسئلة والالغاز التي كانت قد تراكمت في فكره وتوالت عليه .. وتقول الاخبار انه كان منذ صغره يحب الخلوة والانزواء .. حتى بانت عليه ، اذ لم يظهر عليه ميل الى عبث ولهو ولعب فعرف بين اهل مكة بالهدوء وبعدم الميل الى المعاكسة .. كما عرف بالجد وبكراهيته للمدوان واهانة الناس والاستخفاف بهم ليتم وفقر واملاق . كل ذلك حببه لاهل مكة ولقومه مما جعلهم ينظرون اليه نظرة تختلف عن نظرتهم الى الاخرين من الشبان والرجال الطائشين النزقين(٢) .

وراحت ملامح الطريق الى النبوة تزداد ايماء ووضوحا وتقترب بمحمد يوما بعد يوم من نداء الله . وتحدثنا عائشة (رض) ان اول ما بدىء به رسول الله (ص) من النبوة ، حين اراد الله كرامته ورحمة العباد به ، الرؤيا الصادقة ، لايرى رسول الله (ص) رؤيا في نومه الا جاءت كفلق الصبح ، وحبب الله تعالى اليه الخلوة ، فلم يكن شيء احب اليه من ان يخلو وحده (٣) .

وفي رمضان من السنة الاربعين من عمره خرج محمد (ص) كعادته الى غار حراء متأملا متفكرا مقبلا وجهه في السماوات ، وفي ليلة اثنين من الليالي الاخيرة من الشهر نفسه جاءه جبريل(ع) بأمر الله تعالى . ولنستمع الى رسولنا (ص) نفسه وهو يحدثنا عن تجربة لقائه الاول الحاسم مع مبعوث الله الى انبيائه الكرام « .. فجاءني جبريل وانا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال : اقرأ . قلت ما انا بقارىء . فغتني به(٤) حتى ظننت انه الموت ثم ارسلني فقال : اقرأ . قلت : ما انا بقارىء . فغتني به حتى ظننت انه الموت ثم ارسلني فقال : اقرأ . فقلت : ماذا اقرأ؟ فغتني به حتى ظننت انه الموت ، ثم ارسلني فقال : اقرأ فقلت : ماذا اقرأ ؟ فقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) . فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتابا . فخرجت حتى اذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يامحمد انت رسول الله وانا جبريل !! فرفعت راسي الى السماء انظر فاذا جبريل صورة رجل صاف قدميه في افق السماء يقول : يا محمد انت رسول الله وانا جبريل . فوقفت انظر اليه فما اتقدم وما اتاخر ، وجعلت اصرف وجهي عنه في افاق السماء فلا انظر في ناحية منها الا رأيته كذلك . فما زلت واقفا ما اتقدم امامي وما ارجو ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي . فبلغوا اعلى مكة ورجعوا اليها وانا واقف في مكاني ذلك . ثم انصرف عني . وانصرفت راجعا الى اهلي ، حتى اتيت خديجه فجلست الى فخذها مضيفا اليها(٥) فقالت : يا ابا القاسم اين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا الي . ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت : ابشر يا ابن عم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده اني لارجو ان تكون نبي هذه الامة !! »(٦) .

---

(١) ابن هشام ص ٤٥ ـ ٤٦ الطبري : تاريخ ٢/٣٠٠ ابن سعد ١/١/١٢٩ البلاذري : انساب ١/١٠٥ .

(٢) جواد علي : : تاريخ العرب في الاسلام ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٣) ابن هشام ص ٤٥ الطبري ٢/٢٩٨ ابن سعد ١/١/١٢٩ البلاذري : انساب ١/١٠٥ النخاري : تجريد ١/٥ .

(٤) غتني : عصرني عصرا شديدا (عن تهذيب سيرة ابن هشام) .

(٥) مضيفا اليها : ملتصقا بها (المصدر السابق) .

(٦) ابن هشام من ٤٦ ـ ٤٧ الطبري : تاريخ ٢/٢٩٨ ـ ٣٠٢ وانظر البلاذري : انساب ١/١٠٨ ـ ١١٠ البخاري :

وعن جابر قال : حدثنا رسول الله (ص) قال : « جاورت في حراء فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي، فنودي ، فنظرت امامي وخلفي ، وعن يميني وعن شمالي ، فلم ار شيئا . فنظرت فاذا انا به ـ يعني الملك ـ بين السماء والارض ، فانطلقت الى خديجة فقلت : دثروني . فدثروني وصبوا علي ماء فانزلت (يا ايها المدثر قم فانذر) .. »(٧) .

وقد رأى بعض الصحابه ـ فيما سيتلو من ايام ـ رسولهم (ص) وقد ظهرت وبدت عليه علائم نزول الوحي ، ورأوه وقد نزل عليه الوحي واشتد به ، وقد اجمعوا كلهم على انه كان يعاني في اثنائه شدة وصعوبة ، يبقى على ذلك ماشاء الله، فلا يهدأ ولا يذهب عنه الروع الا بعد انتهاء الوحي ، فيجلس عندئذ وقد تصبب عرقا ، يجلس ليرتاح ويجفف عرقه ، ثم يتلو على من عنده من اصحابه ما وعاه وما حفظه من الوحي . فاذا فصم عنه كان قد وعى كل ما قاله الملك له وحفظه لا يذهب عنه حرفا . وقد ورد في سورة طه (المكية) ما يفيد ان الرسول (ص) كان يعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليه وحيه وذلك في الاية (ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ، وقل رب زدني علما)(٨) ، فحث على التثبت في السماع وعلى ترك الاستعجال في تلقيه وتلقنه . وقد ورد في موضع اخر من القرآن الكريم (لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرءانه ، ثم ان علينا بيانه) (٩) .

انطلقت خديجة (رض) الى ابن عمها ورقة بن نوفل الذي كان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من اهل التوراة والانجيل ، فاخبرته بما اخبرها به رسول الله(ص) فقال ورقة : « قدوس ، قدوس ، والذي نفس ورقه بيده لئن كنت صدقتيني ياخديجة لقد جاءه الناموس الاكبر(١٠) الذي كان يأتي موسى ، وانه لنبي هذه الامة فقولي له فليثبت » . فرجعت خديجة واخبرت محمدا بما قاله ورقة . فذهب بنفسه اليه وطلب ورقة منه ان يعيد حديثه ، فلما اتمه(ص) قال ورقة : والذي نفسي بيده ، انك لنبي هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذي جاء موسى،

تجريد ٥/١ المقدسي ١٤٠/٤ ـ ١٤٢ . وفي عدد من الروايات انها قالت له « ابشر فوالله لايخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق » .

(٧) البخاري : تجريد ٦/١ البلاذري : انساب ١٠٩/١ ـ ١١٠ .

(٨) طه ١١٤ .

(٩) القيامه ١٦ وما بعدها عن جواد علي : تاريخ العرب في الاسلام ص ١٣٤ ـ ١٣٥ وانظر عن صور نزول الوحي ابن كثير : البداية والنهاية ٢١/٣ ـ ٢٢ وعن مفهوم الوحي ومداه وكيفية بدء اتصاله بالنبي (ص) ، ووقت نزول القرآن واوائل آياته ، واثر الوحي لاول عهده في نفس النبي انظر : دروزه ، سيرة الرسول ، ١٢١/١ ١٤٦ و ـ The Encyclopeadia of Islam مادتي Rasul و Nabi ومقال Bell في مجلة العالم الاسلامي عدد ٢٤ سنة ١٩٢٤ .

(١٠) الناموس الاكبر : الملك الذي جاءه بالوحي وأصل الناموس صاحب سر الرجل (عن تهذيب ابن هشام) .

ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن ولتقاتلن ! ولئن انا ادركت ذلك اليوم لا نصرن الله نصرا يعلمه ، ثم ادنى راسه منه فقبل يافوخه ثم عاد الرسول (ص) الى منزله(١١) .

(٢)

كانت خديجة (رض) اول المؤمنين بدعوة الرسول (ص) ، وكان لايمانها ذاك اثر عميق في معنوية الرسول (ص) وهو يجابه بالتوحيد شرك العرب جميعا ، فكان كلما سمع من معارضيه ردا او تكذيبا ، شكى ما يلقى لزوجته البرة فتثبته وتخفف عنه وتهون عليه امر الناس . وكان علي (رض) اول من آمن من الذكور ، ولم يتجاوز ـ بعد ـ العاشرة من عمره ، حيث كان الرسول قد اخذه ليعيله في داره تخفيفا عن عمه ابي طالب الذي لم يكن يملك ما يكفيه وابناءه جميعا . وكان زيد بن حارثة ثالث من اسلموا ، وكان هو الاخر يقطن مع الرسول (ص) في بيته ، حيث كانت خديجة قد اختارته من بين عدد من العبيد الغلمان الذين استقدمهم احد التجار من الشام ، فرآه الرسول فاستوهبه منها فوهبته له فاعتقه وتبناه قبل مبعثه . اما رابع المسلمين واول الرجال فهو ابو بكر عتيق بن ابي قحافة الذي ما ان اسلم حتى راح يدعو الى الله من يثق به ممن يتردد عليه ويجلس اليه . وبجهوده ورأيه ومقدرته على الاقناع اسلم قادة الدعوة ورواد الحركة الاسلامية الاولى : عثمان بن عفان ، الزبير بن العوام ، عبدالرحمن بن عوف ، سعد بن ابي وقاص ، طلحة بن عبدالله . وعقب هؤلاء النفر الثمانية مجموعة اخرى من المسلمين الاوائل وهم : ابو عبيدة بن الجراح ، ابو سلمة بن عبد الاسد ، الارقم بن ابي الارقم ، الذي اتخذ الرسول من داره الواقعة على الصفا مخبأ سريا للحركة الاسلامية ،عثمان بن مظعون واخواه قدامه وعبدالله ، عبيدة بن الحارث ، سعيد بن زيد بن عمر وامرأته فاطمة اخت عمر بن الخطاب ، واسماء وعائشة ابنتا ابي بكر ، خباب بن الارت ، عمير بن ابي وقاص، عبدالله بن مسعود ، مسعود بن القاري ، سليط بن عمرو ، عياش بن ابي ربيعة وامرأته اسماء بنت سلامة ،خنيس بن حذافة ، عامر بن ربيعه ، عبدالله بن جحش واخوه ابو احمد، جعفر بن ابي طالب وامرأته اسماء بنت عميس ، حاطب بن الحارث وامرأته فاطمة بنت المجلل واخوه حطاب وامرأته فكيهه بنت يسار ، معمر بن الحارث ، السائب بن عثمان بن مظعون، المطلب بن ازهر وامرأته رمله بنت ابي العوف ، نعيم بن عبدالله عامر بن فهيرة ، خالد بن سعيد بن العاص وامرأته امينة بنت خلف ، حاطب بن عمرو ، ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعه ، واقد بن عبدالله ، خالد وعامر وعاقل واياس بنو البكير بن عبد ياليل، عمار بن ياسر وابوه وامه ، صهيب بن سنان الرومي(١٢) .

ويلاحظ ان اول من اسلم كان من احداث الرجال او من لدات الرسول (ص) او ممن لا يكبره في السن كثيرا ، اما الشيوخ

---

(١١) ابن هشام ص ٤٨ الطبري ٢٩٩/٢ ـ ٣٠٢ ابن سعد ١٢٩/١/١ ـ ١٣٠ وانظر البلاذري : انساب ١١١/١ والبخاري : تجريد ٦/١ و Ency. IV. P. 1121

(١٢) ابن هشام ص ٤٩ ـ ٥٤ الطبري : تاريخ ٣٠٦/٢ ـ ٣٠٧، ٣٠٩ ـ ٣١٨ البلاذري : انساب ١١٢/١ ـ ١١٣ المسعودي مروج ٢٧٦/٢ ـ ٢٧٨ اليعقوبي ١٨/٢ ـ ١٩ المقدسي ١٤٣/٤ ـ ١٤٦ ابن الاثير : الكامل ٥٧/٢ ـ ٦٠ ابن كثير : البداية ٢٤/٣ ـ ٣٣ .

المسنون فلم يستجيبوا لدعوته استكبارا وانفة ، فللسن عند العرب منزلة .. والعرف اعمق جذورا في نفوس المسنين . وكان من العار على المسن تغيير ما هو عليه وما ورثه عن ابائه واجداده(١٣) . ولم يكن عدد المسلمين قد جاوز الاربعين شخصا في هذه الفترة ، هم كل من اسلموا خلال هذه المدة : ثلاث او اربع سنين وكل ذخيرة الاسلام وعدته للمستقبل ، وهي مدة طويلة كان من الممكن اسلام اضعاف اضعاف هذا العدد لو ان الرسول (ص) قام بالدعوة فيها جهارا ، ولكنه لم يكن يومئذ قد كلف وجوب الجهر بالاسلام وبالتبليغ الا لمن وجد في قلبه ميلا الى الاسلام ، ولهذا لم يتجاوز المسلمون يومئذ العدد المذكور القليل بالنسبة لسكان مكة الذين كانوا عدة الاف ، والكثير في الحاده وايمانه وقوة عقيدته وتضحيته في سبيلها(١٤) .

وقد امر الرسول (ص) اتباعه بالتزام الحيطة والحذر والتخفي وعدم الاعلان عن الاسلام الى ان يقضي الله امره . فكانوا اذا ارادوا الصلاة خرجوا فرادى الى الشعاب والبرية يصلون على حذر ولهم عيون ترى القادم لتنبيه المصلين عليه فلا يؤخذوا على غرة ، ويظهر امرهم للناس ، وقد بقوا على طوال مدة الاستخفاء(١٥) . ويحدثنا ابن هشام كيف ان سعد بن ابي وقاص خرج يوما في نفر من المسلمين الاوائل الى شعب من شعاب مكة ، فاذا بجماعة من المشركين يظهرون عليهم ، وهم يصلون ، فاستنكروا عملهم وعابوا عليهم ما يصنعون ، وما لبث الطرفان ان دخلا في شجار عنيف اضطر سعد ـ يومئذ ـ ان يجرح رجلا من المشركين ، فكان كما يقول ابن هشام «اول دم اهريق في الاسلام »(١٦) . وكان سعيد بن زيد يقول : استخفينا بالاسلام سنة ، ما نصلي الا في بيت مغلق او شعب خال ينظر بعضنا لبعض(١٧) . وفي رواية للبلاذري ان النبي واصحابه كانوا اذا جاء وقت العصر تفرقوا في الشعاب فصلوا ، فرادى ومثنى.. فبينما رجلين من المسلمين يصليان في احدى شعاب مكة اذ هجم عليهما رجلان من المشركين « كانا فاحشين » فناقشوهما ورموهما بالحجارة ، ساعة ، حتى خرجا فانصرفا(١٨) .

هذان الحادثان من الاعتداء على المسلمين خلال صلاتهم في الشعاب ، وامثالهما ، وان بدوا وكأنهما عبث من عبث الصبيان ، لكنهما تركا اثرا من نفوس جهال مكة وحمل الرسول على نصح المسلمين بالتخفي والتزام البيوت مدة من الزمن حتى تستقر الاحوال وتهدأ الاعصاب . ودخل هو وجماعة من اصحابه بيت الارقم بن ابي الارقم وبقي فيه مختفيا مع جماعته لايخرج الى ان اذن الله له بالخروج . وكان بعض المسلمين الذين بقوا خارج البيت يراجعون دار الارقم لتلقي اوامر النبي وتنفيذ ما يحتاج اليه . وفي هذه الدار ايضا اسلم بعض المسلمين .. وليس في كتب الاخبار والسير والتواريخ تاريخ مضبوط للوقت الذي استخفى فيه الرسول والمسلمون في دار الارقم . فالروايات في ذلك مضطربه ، ولكن المرجح ، على ما يبدو ومن غربلتها ، انه كان في اواخر السنة الثالثة من النبوة او في السنة الرابعة اي في اواخر عهد الكتمان .. والروايات متضاربة في مدة الاستخفاء في دار الارقم فهناك من يجعل مدتها شهرا فقط (١٩). ثم انها متضاربة كذلك في كيفية الاستخفاء هل كان استخفاء تاما من الناس في تلك الدار فلا يخرج منها احد ، او كان استخفاء في اوقات قصيرة من النهار وذلك في اوقات اجتماعهم بالنبي مثلا لاجل الصلاة وتوضيح الاسلام والتبشير بدين الله وقبول احد فيه(٢٠) ؟

ويؤكد ارنولد ان شدة معارضة قريش (ربما) كانت السبب الذي من اجله اتخذ محمد (ص) مقره في السنة الرابعة من البعثة في دار الارقم .. وكانت هذه الدار في مركز متوسط يؤمها الحجيج والغرباء وقد استطاع الرسول ان يواصل فيها نشر مبادىء الاسلام بين الذين كانوا يقصدونه في هدوء وطمانينه وتعد الفترة التي قضاها محمد (ص) في هذه الدار فترة هامة في الدعاية الاسلامية بمكة ، حتى ان كثيرا من المسلمين يؤرخون دخولهم في الاسلام بتلك الايام التي كان الرسول يبث فيها الدعوة بدار الارقم(٢١) .

الا ان سرية الدعوة في هذا العهد وتواصي المسلمين بالحذر والحيطة وتلافي الاصطدام المباشر مع المشركين ، لا يعني ان المجابهة العقيدية بين الدين الجديد والشرك كانت صامتة ، بل اننا نجدها على اعنف ما تكون في القرآن الكريم نفسه وفي آياته الاولى ففي سورة العلق حملة عنيفة على احد زعماء قريش ،في وقت لم يكن النبي قد آمن بدعوته ـ بعد ـ سوى نفر يعدون على الاصابع ، ومن لم يتبين لنا الموقف العصيب الذي واجهه الرسول (ص) والجراة العظيمة التي واجه بها هذا الموقف بامر ربه ، بما كان يوجهه الى الزعيم القوي الغني الطاغي : المغيرة بن هشام المخزومي ، مما يوحي اليه من آيات فيها الصفعات الدامية والشرر المحرق (كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة . فليدع ناديه سيدعو الزبانية . كلا لا تطعه..) ثم بما كان من تثبيت القرآن له على دعوته وعبادته وثباته فيهما فطا ، تبين لنا العظمة الخلقية والايمان العميق والجراة الشديدة في الحق على كل باغ مهما كان قويا عاتيا . ولقد كان هذا دابه في كل المواقف التالية لهذا الموقف العصيب سواء كانت في الخطوات الاولى او ما بعدها ، وفي هذا سر من اسرار اصطفائه للرسالة العظمى من دون ريب(٢٢) .

(٣)

وما لبث الوقت ان حان لاعلان الدعوة ، واصدر الله سبحانه امره الى الرسول (ص) ان (يصدع) بما جاءه منه وان يتجاوز الطور السري للدعوة الذي استغرق ما يزيد على الثلاث سنوات ، الى الجهر والعلن تنفيذا لامر الله (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين) ولقوله تعالى (وانذر عشيرتك الاقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . وقل : اني انا النذير المبين) .

وقد بدا الرسول (ص) الدور الجديد للدعوة بان صعد الى

---

(١٣) جواد علي : تاريخ ص ١٥٧ .
(١٤) المصدر السابق ص ١٥٨ .
(١٥) المصدر السابق ص ١٥٩ .
(١٦) تهذيب ص ٥٤ ـ ٥٥ الطبري : تاريخ ٣١٨/٢ البلاذري : انساب ١١٦/١ .
(١٧) انساب ١١٦/١ .
(١٨) المصدر السابق ١١٧/١ .
(١٩) السيرة الحلبية ٣١٩/١ .
(٢٠) جواد علي : تاريخ ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .
(٢١) الدعوة الى الاسلام ص ٣٨ وعن دار الارقم انظر Ency. Vol. I. p. 434 ـ5
(٢٢) دروزة : سيرة الرسول ١٦٢/١ .

(الصفا) ودعا بني المطلب ان يجتمعوا اليه ، فاجتمع اليه منهم حوالي الاربعين ، فيهم عدد من اعمامه ، وبدا حديثه معهم : يا بني فلان ، يابني عبدالمطلب ، يا بني عبد مناف ، ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل ، اكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا ، قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقاطعه ابو لهب ساخرا : تبالك !! ما جمعتنا الا لهذا . ثم انصرف وانصرف بنو عبدالمطلب في اعقابه (٢٣) .

ومن الطبيعي ان يبدأ الرسول دعوته العلنية بانذار عشيرته الاقربين ، اذ ان مكة بلد توغلت فيه الروح القبلية ، فبدء الدعوة بالعشيرة قد يعين على نصرته وتاييده وحمايته . كما ان القيام بالدعوة في مكة لابد ان يكون له اثر خاص لما لهذا البلد من مركز ديني خطير فجلبها الى حظيرة الاسلام لابد وان يكون له وقع كبير على بقية القبائل .. على ان هذا لا يعني ان رسالة الاسلام كانت في ادوارها الاولى محدودة بقريش ، لان الاسلام ، كما يتجلى من القرآن اتخذ الدعوة في قريش كخطوة اولى لتحقيق رسالته العالمية . والواقع ان كثيرا من الايات المكية كانت تنص على ان القرآن (ما هو الا ذكر العالمين)(٢٤) ، الامر الذي يدل على ان فكرة الدعوة العالمية كانت قائمة منذ هذا الوقت المبكر(٢٥) .

ما لبث الرسول (ص) ان جوبه بمعارضة شديدة من قومه وباجماع منهم على مقاومته وصده ، سيما بعد الحملات الشديدة التي راح يشنها على الهتهم واصنامهم(٢٦) . ووقف عمه ابو طالب ينافح عنه ضد قريش ، فراى زعماؤها ان يبعثوا اليه وفدا من اشرافهم علهم يقنعوه بوقف ابن اخيه عن المضي في دعوته ، او ـ على الاقل ـ بالتخلي عن اسناده وحمايته . والتقى رجالات الوفد بابي طالب وقالوا : يا ابا طالب ان ابن اخيك قد سب الهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا وضلل اباءنا ، فاما ان تكفه عنا واما ان تخلي بيننا وبينه . فقال لهم ابو طالب قولا رفيقا ، وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه(٢٧) .

مضى الرسول (ص) في طريقه ، يظهر دين الله ويدعو اليه ، بينما ظل بعض كبار اصحابه كابي بكر وسعيد بن زيد وعثمان ، على سريتهم وكتمانهم ، زيادة في الحيطة ، اما حمزة وابو عبيدة وعمر ـ فيما بعد ـ فقد راحوا يجهرون(٢٨) . واشتد العداء بين محمد والوثنية عمقا ، وامتلات صدور المشركين حقدا عليه وهم يرونه يعلن حربه التي لا هوادة فيها ضد قيمهم والهتهم ، وراحوا يكثرون الحديث في امره ، ويتآمرون ضده ، ويحرض بعضهم بعضا عليه . ثم ارتاوا ان يقابلوا أباطالب مرة اخرى وقالوا : يا ابا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد استنهيناك من ابن اخيك ، فلم تنهه عنا ، وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه احلامنا وعيب الهتنا حتى تكفه عنا ، او ننازله واياك في ذلك حتى يهلك احد الفريقين . فبعث ابو طالب الى ابن اخيه وقال له : يا ابن اخي ان قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا ، فابق علي وعلى نفسك ، ولا تحملني من الامر ما لا اطيق(٢٩) .

ظن الرسول (ص) ان عمه قد ضعف عن نصرته ، وانه ربما خذله واسلمه لاعدائه فقال « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله او اهلك فيه » ، فما كان جواب عمه الا ان قال : اذهب يا ابن اخي فقل ما احببت فوالله لا اسلمك لشيء ابدا(٣٠) .

وعندما ادركت قريش اصرار ابي طالب على حماية ابن اخيه ، ساروا اليه ثالثة ، ومعهم عمارة بن المغيرة ، وقالوا له : يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد انهد فتى في قريش واجملها فخذه واتخذه ولدا ، فهو لك ، واسلم الينا ابن اخيك هذا الذي خالف دينك ودين اباءك ، وفرق جماعة قومك وسفه احلامهم ، فنقتله ، فانما هو رجل برجل ، فاجابهم ابو طالب : والله لبئس ما تسومونني ، اتعطونني ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابني تقتلونه ؟ هذا والله ما لا يكون ابدا(٣١) .

ويورد ابن سعد ،رواية لا نجدها في المصادر الاخرى ، ولا ندري مدى صحتها ، تشير الى محاولة مبكرة من زعماء قريش لاغتيال الرسول (ص) ، وكيف انهم ، بعد فشل مفاوضاتهم مع ابي طالب وعجزهم عن اغراء الرسول (ص) قالوا « ما خير من ان يقتال محمد » . فلما كان مساء تلك الليلة ، فقد الرسول (ص) ، فبحث عنه ابو طالب فلم يجده فظن انه قد اصيب بمكروه فجمع فتيانا من بني هاشم وبني المطلب وامر كلا منهم ان يحمل حديدة صارمة لقتال زعماء القوم اذا ثبت قتلهم لمحمد (ص) . الا ان ابا طالب سرعان ما ابلغ ان محمدا يجلس الان في داره بالصفا وانه بمنأى عن الشر وفي اليوم التالي صحب ابو طالب ابن اخيه الى اندية القرشيين ومعه فتيان بني هاشم والمطلب ، وراح يقول لهم « يا معشر قريش ، هل تدرون ما هممت به ؟ » قالوا : لا ، فاخبرهم الخبر وقال للفتيان : اكشفوا عما في ايديكم فكشفوا فاذا كل رجل منهم يحمل حديدة صارمة . فقال: والله لو قتلتموه ما ابقيت منكم احدا حتى نتفاني نحن وانتم. فانكسر القوم ، وكان ابو جهل اشدهم انكسارا(٣٢) . ولعل هذه الرواية تفسر لنا لماذا سكت القريشيون في السنين التالية عن وقف خطر انتشار الدعوة بقتل الرسول ،واكتفائهم بفتنة ضعاف المسلمين ، وانهم لم يعودوا الى اعتماد اسلوب الاغتيال الا بعد ان حزب الامر ، وامتد نشاط الرسول (ص) الى خارج مكة وبدا المسلمون هجرتهم صوب يثرب لتاسيس دولتهم هناك .

---

(٢٣) الطبري : تاريخ ٣١٩/٢ البلاذري : انساب ١١٩/١ ـ ١٢١ ابن سعد ١٣٢/١/١ ابن الاثير : الكامل ٦٠/٢ ـ ٦٣ ابن كثير : البداية ٣٨/٣ ـ ٤١ .

(٢٤) هود ١١٤ وانظر : الانعام ٩٠ ، التكوير ٢٧ ، القلم ٥٢ .

(٢٥) صالح احمد العلي : محاضرات في تاريخ العرب ٣٢٨/١ ـ ٣٢٩ . وعن الدائرة الواسعة لعشيرة الرسول (ص) التي وسعتها علاقات الزواج والمصاهرة انظر بالتفصيل المصدر السابق ٣٢٩/١ ـ ٣٣٢ وعن اسماء المسلمين في العصر المكي انظر القوائم الوثيقة التي ثبتها العلي في كتابه انف الذكر ص ٣٨١ ـ ٣٩٠ والملحق الاخير لكتاب مونتكمري وات : محمد في مكة ، وقوائم كايتاني في كتابه (حوليات الاسلام) ، وانظر كذلك : وات : المصدر السابق ص ١٤٤ ـ ١٤٧ .

(٢٦) انظر البلاذري : انساب ١١٥/١ ـ ١١٦ .

(٢٧) ابن هشام ص ٥٤ ـ ٥٥ الطبري : تاريخ ٣٢٢/٢ ـ ٣٢٣ اليعقوبي : تاريخ ١٩/٢ ـ ٢٠ .

(٢٨) البلاذري : انساب ١٢٣/١ .

(٢٩) ابن هشام ص ٥٥ ـ ٥٦ الطبري ٣٢٣/٢ .

(٣٠) ابن هشام ص ٥٦ الطبري : تاريخ ٣٢٦/٢ ابن الاثير ٦٤/٢ .

(٣١) ابن هشام ص ٥٦ ـ ٥٧ الطبري ٣٢٦/٢ ـ ٣٢٧ ابن سعد ١٣٤/١/١ ـ ١٣٥ ابن الاثير : الكامل ٦٤/٢ ـ ٦٥ .

(٣٢) الطبقات ١٣٥/١/١ .

(٤)

ادركت قريش الا جدوى من اية محاولة تبذلها لاستمالة ابي طالب ووقف حمايته للرسول (ص) فقررت ان تدع اسلوب المفاوضة والحوار الى العنف والقوة ، وان تعلن حربها ضد الدعوة الجديدة والمنتمين اليها ، وان تدفع كل قبيلة منها الى ان تنقض على المسلمين من ابنائها فتعمل فيهم تعذيبا وتفتنهم عن دينهم ، فنفذت القبائل تعليمات الزعامة الوثنية وصبت على رؤوس المسلمين عذابها ومطاردتها واذاها ، واغرت سفهاءها بالرسول (ص) فكذبوه وآذوه واتهموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون ، ومحمد ماض في هجومه على دينهم واعتزال اوثانهم ورفض قيمهم واعرافهم .

وكانوا يجتمعون قريبا من الكعبة حتى اذا طاف بها الرسول (ص) غمزوه ببعض القول فكان يرد عليهم « اتسمعون يا معشر قريش ؟ اما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح »(٣٣) وعندما كانوا ياخذون بمجامع ردائه ويقولون له انت الذي تقول كذا وكذا في عيب آلهتنا ودیننا ،كان يجيبهم بصراحة لا التواء فيها « نعم انا الذي اقول ذلك » . وسعى احدهم ـ مرة ـ الى الحاق الاذى به فلوى ثوبه في عنقه وخنقه خنقا شديدا ، فنافح ابو بكر دونه وهو يقول « اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ؟ »(٣٤) . وقال ابو جهل ، وقد اغاضه ازدياد اتباع النبي يوما بعد يوم ، والله لئن رايت محمدا يصلي ، لاطان رقبته . فبلغه انه يصلي فاقبل مسرعا فقال : الم انهك يا محمد عن الصلاة ؟ فانتهره رسول الله (ص) فاجاب : اتنتهرني وتتهددني وانا اعز اهل البطحاء(٣٥) ؟

وعندما اقترب موسم الحج خاف زعماء قريش ان يفيد الرسول (ص) من فرصة التجمع البشري هذه فيتصل بوفود العرب وقبائلها ويعرض عليها الاسلام ، فدعا احد كبارهم وهو الوليد بن المغيرة قومه الى ان يجتمعوا اليه واعلمهم ان الموسم قد حضر ، وان وفود العرب قادمة الى مكة ، وان عليهم ان يصدروا في امر الرسول عن راي واحد كيلا يختلفوا ويكذب بعضهم بعضا . فقال بعضهم : نقول انه كاهن ، فاجاب الوليد : لا والله ما هو بكاهن ، لقد راينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه . فقال اخرون : نقول مجنون . اجاب : ما هو بمجنون لقد راينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا وسوسته . قالت فئة ثالثة : نقول شاعر !! فاجاب الوليد : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطة ، فما هو بالشعر . قال بعضهم: فنقول ساحر . اجاب الوليد : ما هو بساحر ، لقد راينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم . قالوا : فما نقول انت ؟ قال « والله ان لقوله لحلاوة وان اصله لعذق(٣٦) وان فرعه لجناة(٣٧) ، وما انتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف انه باطل . وان اقرب القول فيه لان تقولوا : ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء واخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته . وتفرق القوم على هذا الراي وانتشروا في مداخل مكه ومسالكها ، حيث تمر الوفود لاداء مناسك الحج فكلما مر بهم وفد حذروه دعوة الرسول (ص) واتهموه بالسحر . وجاءت محاولتهم هذه بعكس النتائج التي توقعوها ، ذلك ان العرب صدروا ذلك الموسم بامر رسول الله (ص) فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها ، فكان قريشا سمعت ـ من حيث لم تشعر ولم ترد ـ الى نشر الدعوة الناشئة في الافاق»(٣٨)

مضت الدعوة تشق طريقها الصعب في مكة بين قبائل قريش رجالا ونساء ، وقريش تحبس من قدرت على حبسه وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين . واسلم حمزة بن عبدالمطلب غضبا لابن اخيه من ابي جهل الذي اذاه وشتمه ونال منه ، ورات قريش ان تعود ـ ثانية ـ حيث لم تجد الفتنة والاضطهاد الى اسلوب المفاوضة والاغراء ، فاجتمع اشرافها من كل قبيلة : عتبة وشيبه ابنا ربيعه ، ابو سفيان بن حرب ، النضر بن الحارث ، ابو البختري بن هشام ، الاسود بن عبدالمطلب ، زمعة بن الاسود ، الوليد بن المغيرة ، ابو جهل بن هشام ، عبدالله بن ابي اميه ، العاص بن وائل ، نبيه ومنبه ابنا الحجاج وامية بن خلف . اجتمعوا بعد غروب الشمس قريبا من الكعبة وقال بعضهم لبعض : ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه . فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فاتهم . فجاءهم رسول الله (ص) مسرعا ، فقالوا له : يا محمد انا قد بعثنا اليك لنكلمك وانا والله ما نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه مثل ما ادخلت على قومك : لقد شتمت الاباء ، وعبت الدين ، وشتمت الالهة ، وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة ، فما بقي امر قبيح الا قد جئته فيما بيننا وبينك ، فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا ، وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا ياتيك رئيا تراه قد غلب عليك بذلنا لك اموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه او نعذر فيك . فاجابهم رسول الله : ما بي ما تقولون ، ما جئت بما جئتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا ، وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والاخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله ، حتى يحكم الله بيني وبينكم .

حينذاك طلب زعماء قريش منه ان ياتيهم بمعجزة ما ، ان يوسع عليهم وادي مكة ، او يفجر فيه الانهار ، او يبعث احد آبائهم حيا كي يخبرهم عن صدق نبوته ، او يجعل لهم جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة ، او يسقط السماء عليهم كسفا ، او يسال ربه ان يبعث معه ملكا يصدقه بما يقول « فانك تقوم بالاسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه ،حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا فيما تزعم .. فانا لا نؤمن لك الا ان تفعل » .. فما كان جواب الرسول (ص) الا ان ظل يردد عليهم « ما انا بفاعل ، وما انا بالذي يسال ربه هذا ، وما بعثت اليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا ، فان تقبلوا ما جئتكم به فهو خطكم في الدنيا والاخرة ، وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم »(٣٩) .

---

(٣٣) كناية عن الهلاك ان لم يؤمنوا (عن تهذيب سيرة بن هشام) .

(٣٤) ابن هشام ص ٥٧ ـ ٦٠ الطبري : تاريخ ٢/٣٢٢ ـ ٣٢٣

(٣٥) البلاذري : انساب ١/١٢٦ .

(٣٦) العذق : النخلة (عن تهذيب سيرة بن هشام) .

(٣٧) الجناة : ما يجنى (المصدر السابق) .

(٣٨) ابن هشام ص ٥٧ ـ ٥٨ البلاذري : انساب ١/١٣٣ .

(٣٩) ابن هشام ص ٦٤ ـ ٦٧ .

(٥)

وخلال ذلك كان اتباع الدين الجديد يقاسون شتى انواع العذاب والاضطهاد ، وكانت كل قبيلة تثب على من فيها من المسلمين ، احرارا وعبيدا ، فتحبسهم وتعذبهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي ينصب عليه ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم وقد روى مجاهد ان المستضعفين من المسلمين البسوا دروع الحديد ، وصهروا في الشمس حتى بلغ الجهد منهم(٤٠) .

كان بلال بن رباح مؤمنا صادق الايمان ، طاهر القلب ، وكان سيدة امية بن خلف الجمحي يخرجه اذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا والله لاتزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فيقول ، وهو في ذلك البلاء : احد احد .. فيضع امية في عنقه حبلا ويامر الصبيان فيجرونه . وكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب ويصرخ احد احد ، فيقول: احد احد والله يا بلال . وظل بلال على هذه الحال الى ان اعتقه ابو بكر واعتق معه ست رقاب اخرى من ضعفاء مكة من الرجال والنساء ، وعندما قال له ابوه : يا بني اني اراك تعتق رقابا ضعافا ، فلو انك اذ فعلت اعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك ، اجاب ابو بكر : يا ابت اني انما اريد ما اريد لله عز وجل(٤١) .

يقول عمرو بن العاص :مررت ببلال وهو يعذب في الرمضاء لو ان بضعة لحم وضعت لنضجت ، وهو يقول : انا كافر باللات والعزى ، وامية بن خلف مفتاظ عليه فيزيده عذابا ، فيغشى عليه ثم يفيق .. ويقول حسان بن ثابت : اعتمرت ، فرايت بلالا في حبل طويل ، تمده الصبيان ، ومعه فيه عامر بن فهيرة وهو يقول : احد احد ، انا كافر باللات والعزى ، فاضطجعه اميه في الرمضاء .. ويقول مجاهد : جعلوا في عنق بلال حبلا وامروا صبيانهم ان يشتدوا به بين جبلي مكة ، ففعلوا ذلك وهو يقول : احد احد .. ويقول عروة : كان بلال من المستضعفين من المؤمنين وكان يضرب حين اسلم ليرجع عن دينه فما اعطاهم قط كلمة مما يريدون .. ويقول بلال نفسه : اعطشوني يوما وليلة ، ثم اخرجوني فعذبوني في الرمضاء في يوم حار(٤٢) .

وكان ابو فكيهة المسمى (افلح) عبدا لصفوان بن امية ، فمر به ابو بكر وقد اخذه امية بن خلف فربط في رجله حبلا وامر به فجر ثم القاه في الرمضاء .. وجعل يغلظ عليه ويخنقه ومعه اخوه ابي بن خلف يقول : زده عذابا حتى ياتي محمد فيخلصه بسحره ، ولم يزل على تلك الحال حتى ظنوا انه قد مات ، ثم افاق فاشتراه ابو بكر واعتقه(٤٣) .

وكانت زنيرة قد علبت حتى عميت ، فقال لها ابو جهل : ان اللات والعزى فعلتا بك ما ترين . فقالت وهي لا تبصره : وما تدري اللات والعزى من يعبدهما ممن لا يعبدهما ،ولكن هذا امر من السماء .. فاشتراها ابو بكر واعتقها . وكانت النهديه امة لامراة من بني عبد الدار فكانت تعذبها وتقول:والله لااقلعت عنك او يعتقك بعض من صبائك فابتاعها ابو بكر واعتقها. وكانت ام عنيس امة لبني زهرة فكان الاسود بن عبد يغوث يعذبها فابتاعها ابو بكر واعتقها(٤٤) .

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبابيه وامه ، اذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم في رمضاء ، فيمر بهم رسول الله (ص) فيقول : صبرا آل ياسر ، موعدكم الجنة !! وقتلت امه وهي تابى الا الاسلام فكانت اول شهيد في الاسلام ،ويقال انها اغلظت لابي جهل في القول فطعنها في بطنها .. وكان عمار يعذب حتى لا يدري ما يقول(٤٥) .. وجيء بخباب بن الارت فجعلوا يلصقون ظهره بالارض على الرضف حتى ذهب ماء متنه ، فجاء الى النبي (ص) يوما يشكو ما اصابه فقال له الرسول (ص) : لقد كان الرجل من قبلكم يمشط بامشاط الحديد حتى يخلص الى ما دون عظمه من لحم وعصب او يشق بالمناشير ، فلا يرده ذلك عن دينه ، وانتم تعجلون . والله ليمضين هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله وحده ، والذئب على غنمه(٤٦) . ويحدثنا خباب نفسه فيقول : لقد رايتني يوما وقد اوقدوا لي نارا ، ثم سلقوني فيها ، ثم وضع رجل رجله على صدري ، فما اتيت الارض الا بظهري (ثم كشف خباب عن ظهره فاذا هو قد برص) ، ولولا اني سمعت رسول الله (ص) يقول : (لا يتمنين احدكم الموت) لتمنيته(٤٧) !!

وكان صهيب بن سنان الرومي من المؤمنين المستضعفين الذين يعذبون في الله ، وكان يمر بقريش يصحبه خباب وعمار ، فكانوا يقولون : هؤلاء جلساء محمد ، وبهزمون .. فيرد صهيب: نحن جلساء نبي الله ، آمنا وكفرتم وصدقناه وكذبتموه ، ولا خسيسة مع الاسلام ولا عز مع الشرك . فجعلوا يعذبونه ويضربونه وهم يقولون : انتم الذين من الله عليكم من بيننا(٤٨) ؟

وكان ابو جهل ، اذا سمع بالرجل قد اسلم ، له شرف ومنعه ، انبه واخزاه وقال : تركت دين ابيك وهو خير منك . لنسفهن حلمك ولنقبحن رايك ولنضعن شرفك وان كان تاجرا قال: والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك . وان كان ضعيفا اغرى به(٤٩) .

واجتمع اصحاب الرسول (ص) يوما فقالوا : والله ما سمعت قريش بهذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعهموه ؟فقال عبدالله بن مسعود :انا ! قالوا:انا نخشاهم عليك انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم ان ارادوه . فقال :دعوني فان الله سيمنعني وانطلق الى الكعبة ،وقريش في انديتها ، وراح يتلو هناك بصوت عال (الرحمن علم القرآن خلق الانسان . علمه البيان ..) فتامل القرشيون فيه وجعلوا يتساءلون : ما يقول ابن ام عبد ؟ اجاب بعضهم : انه ليتلو بعض ما جاء به محمد . فقاموا اليه وجعلوا يضربون في وجهه وهو ماض في تلاوة السورة ، حتى بلغ منها ما شاء الله ان يبلغ ، ثم انصرف الى اصحابه وآثار اللطمات على وجهه ، فقالوا : هذا الذي خشينا عليك ! قال : ما كان اعداء الله اهون علي منهم الان ،لئن شئتم لافادينهم غدا بمثلها !قالوا : لا حسبك،

---

(٤٠) البلاذري : أنساب ١/١٥٨ .
(٤١) المصدر السابق ١/١٨٤ ـ ١٨٥ ابن هشام ص ٦٩ ـ ٧١.
(٤٢) البلاذري : أنساب ١/١٨٥ ـ ١٨٦ .
(٤٣) المصدر السابق ١/١٩٤ ـ ١٩٥ .
(٤٤) المصدر السابق ١/١٩٦ .
(٤٥) المصدر السابق ١/١٥٨ ـ ١٥٩ .
(٤٦) المصدر السابق ١/١٧٦ .
(٤٧) المصدر السابق ١/١٧٨ .
(٤٨) المصدر السابق ١/١٨٤ .
(٤٩) المصدر السابق ١/١٩٨ ابن هشام ص ٧١ ـ ٧٢ .

فقد اسمعتهم ما يكرهون(٥٠) . وروى الطبري في سياق تفسير آيات سورة العنكبوت (٨ ـ ٩) أن سعد بن ابي وقاص كان يقول لامه التي اخذت تلح عليه بالارتداد « يا امه ،واللهلو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ، ما تركت ديني »(٥١) .

ويظهر ان بعض المسلمين قد تضعضعوا امام المحنة ولم يطيقوا تحمل الاذى والاضطهاد ، وانهم ابدوا شكهم في نصرالله الموعود للمسلمين فنزلتالايات١١ـ١٥ من سورة الحج تحمل على هذا النوع من الناس باسلوب عام حملة لاذعة في سياق بيان مراتب الناس من عبادة الله والاعتراف به والاخلاص له ، فالمخلص يجب ان يؤمل في رحمة الله ونصره وان تاخرا ، واذا لم ينلهما في الدنيا فهو نائلهما في الاخرة ، والايمان المشروط بالا ينال صاحبه الا النفع ، لا يليق بمؤمن صادق لان الايمان مسالة مستقلة لا علاقة لها باعراف الدنيا المتقلبه على الناس (.. ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنه انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ، ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه ، ذلك هو الضلال البعيد)(٥٢) .

عن سعيد بن جبير قال : قلت لعبدالله بن عباس : اكان المشركون يبلغون من اصحاب رسول الله (ص) من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ، ان كانوا ليضربون احدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر انيستويجالسا من شدة الضر الذي نزل به(٥٣) !!

ومن جهة اخرى ، لنا ان نتسال فيما اذا كان من المسلمين من كان يقابل الاذى والعدوان بمثله في مكة ، او هم بذلك ؟ فنقول ان في بعض الايات ما يلهم بالايجاب الذي نعتقد انه مما يتسق مع طبيعة الامور ، اذ لا يصح ان يفترض خضوع المسلمين كافة للاذى وصبرهم عليه ، وكان فيهم الاقوياء في اشخاصهم امثال عمر وحمزة ، كما كان فيهم الاقوياء بعصبياتهم ايضا وخاصة في بيئة مثل بيئة النبي (ص) وعصره قويت فيهما العصبية الاجتماعية وكانت ناظما مهما في علاقات الناس بعضهم ببعض . الا ان القرآن امرهم ان يكفوا ايديهم لان وقت المجابهة لم يحن بعد .. وهنالك من الايات(٥٤) ما يلهم بقوة ان بعض المسلمين كانوا احيانا يوجهون الشتائم الى الكفار بسبيل التنديد بهم وبعقائدهم مواجهة ، هذا لا يكون الا من اناس اقوياء الشخصية جرآء على الباطل مهما قوياصحابه، وبالتالي تلهم بقوة ان من المسلمين من كانوا كذلك وكانوا لا يرون ان يسكتوا البغاة الكفار وفجارهم(٥٥) . وفي تفسير الطبري لايات سورة النمل (١٢٥ ـ ١٢٨) عن بعض التابعين ان بعض المسلمين في مكة قالوا : يا رسول الله لو اذن لنا الله لانتصرنا من هؤلاء الكلاب ، فانزل الله الايات المذكورة(٥٦) .

(٥٠) الطبري : تاريخ ٢/٣٢٤ ـ ٣٢٥ .
(٥١) دروزة : سيرة الرسول ١/٢٨٠ .
(٥٢) المصدر السابق ١/٢٨٣ ـ ٢٨٤ .
(٥٣) ابن هشام ص ٧٢ البلاذري : انساب ١/١٩٧ .
(٥٤) الانعام ١٠٨ .
(٥٥) دروزة : سيرة الرسول ١/٣٠٩ ـ ٣١٠ .
(٥٦) المصدر السابق ، هامش ١ ، ١/٣١٢ وعن تفسير الايات التي تعرضت لمقاومة المشركين للدعوة انظر : تفسير الطبري ٢/٢١٩ ، ٧/٢٧ ، ١٨٤ ، ٢٠٧ ، ٨/١٧ ، ٩/١٥١ ، ١٤/٤٨ ـ ٥١ ، ١٥/٧٥ ، ١٠٧ ـ ١١٠ ، ١٦/٩١ ، ١٧/٦ ، ٩٢ ، ١٨/١٣٦ ، ١٣٩ ، ٢٣/٢٠ ـ ٢٥ ، ٤٠ ، ٨٠ ، ٢٩٩/١٤ ـ ١٥ ، ٩٦ ، ١٢٤ ، ١٣٨ .

(٦)

ادرك رسول الله (ص) ، بعد سنتين من الجهر بالدعوة ، الا قدرة له على حماية اتباعهمن البلاء الذييتنزل بهمليل نهار، وان الزعامة الوثنية ماضية في عنفها واضطهادها وتعذيبها لهم ، مصممة على استخدام اي اسلوب لوقف الدعوة عند حدها وخنقها وهي بعد في المهد .. ورأى ان يمنح المعذبين المضطهدين فترة من الوقت يستردون فيها انفاسهم ويستعيدون قواهم النفسية والجسدية ، ويعودوا ثانية الى ساحة الصراع وهم اقدر واصلب .. وعسى الله ان يحدث ـ خلال ذلك ـ امرا كان مفعولا . فاشار عليهم بالهجرة الى الحبشة « فان بها ملكا لا يظلم عنده احد » حتى يجعل الله لهم فرجا مما هم فيه . فاستجاب له المسلمون وتسلل عدد منهم من مكة صوب الساحل ، كي تقلهم سفينتان كانتا متجهتين صوب الجنوب . وخرج نفر من قريش في آثارهم ، وعندما بلغوا الساحل كانت السفن قد بعدت عنه(٥٧) . وكان اول من هاجر منهم :عثمان بنعفان وامراته رقية ابنة الرسول (ص) ، ابو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت سهيل ، الزبير بن العوام ، مصعب بن عمير ، عبدالرحمن بن عوف ، ابو سلمة بن عبد الاسد وامراته ام سلمة بنت ابي امية ، عثمان بن مظعون ، عامر بن ربيعه وامراته ليلى بنت ابي حثمة ، ابو سبرة بن ابي درهم وسهيل بن بيضاء . وقد امر عليهم جميعا عثمان بن مظعون . ثم خرج جعفر بن ابي طالب ، وتتابع المهاجرون منفردين او مع اهليهم ، حتى اجتمعوا بارض الحبشة بضعة وثمانين مهاجرا عدا ابنائهم الصغار والذين خرجوا معهم أو ولدوا هناك(٥٨) .

كان اختيار بلاد الحبشة دارا لهجرة المسلمين خطوة موفقة من خطوات الرسول المدروسة فهناك ، اضافة الى الصفة التي وصف ملكها بها في الحديث المروي عن النبي ، تيسر السفر اليها بالسفن ، ومساعدة الرياح الموسمية لهذا السفر البحري في ظروفه ، فضلا عن العلاقات المذهبية الطيبة بين الاسلام والنصرانية .. بل انه ليخطر بالبال ان من اسباب اختيار الحبشة امل وجود مجال للدعوة فيها وان يكون هدف انتداب

(٥٧) الطبري : تاريخ ٢/٣٢٩ .
(٥٨) ابن هشام ص ٧٢ ـ ٧٣ الطبري ٢/٣٢٩ ـ ٣٣١ ابن سعد ١/١٣٦ ـ ١٣٧ اليعقوبي : تاريخ ٢/٢٣ ابن الاثير : الكامل ٢/٧٦ ـ ٧٧ ابن كثير : البداية ٣/٦٦ ـ ٦٩ المقدسي ٤/١٤٩ ـ ١٥١ وانظر عن المهاجرين بالتفصيل : البلاذري : انساب ١/١٩٨ ـ ٢٢٩ حيث يقدم معلومات مفصلة عن مسالة الهجرة الى الحبشة لا نجد غالبها في المصادر الاخرى . وهو يذكر ـ فيما يستعرض من تفاصيل ـ ان ابا بكر الصديق (رض) عزم هو الاخر على الهجرة الى الحبشة بسبب اذى المشركين واضطهادهم له . ولقد غادر مكة فعلا الا ان سيد قبائل القارة الحارث بن يزيد الملقب بابن الدغينة اعترضه في الطريق وأقنعه بالرجوع وأعلن للمشركين عن جواره له . لكن ابا بكر استمر ـ وهو في مكة ـ يؤدي شعائر الاسلام ويدعو اليه ، الامر الذي دفع ابن الدغينة الى انهاء جواره له ، فما كان من ابي بكر الا ان قال : ارجع اليك جوارك وارضى بجوار الله !! (أنساب ١/٢٠٥ ـ ٢٠٦ وانظر نفس الرواية في البخاري : تجريد ٢/٧١ ـ ٧٢ ، درمنغم : حياة محمد ص ١٢١ ـ ١٢٤) .

جعفر متصلا بهذا الامل ولعل ما روي عن اسلام النجاشي وغيره من الاحباش ووفادة بعضهم على النبي مسلمين مستطلعين ما يستانس به على صحة هذا الخاطر ، اذ يرى اثر نجاح لهذه الدعوة في هاتيك الديار . ولعل حادثة انتصار الاحباش لنصارى اليمن التي كانت حاضرة في اذهان العرب كانت ذات تاثير ايضا في توجيه الهجرة الى هذه البلاد ، فالمسلمون بهذا يكسبون حليفا قويا تجمع بينهم وبينه الرابطة الدينية . والمشركون يقع في نفسهم شيء من الخوف والتوجس والجنوح الى الارعواء بسبب توثق الصلة بين المسلمين وهذا الحليف القوي(٥٩) . هذا الى ان اختيار منطقة كاليمن او يثرب سوف يعرض المهاجرين لبطش العناصر الوثنية واليهودية المنتشرة هناك .

ويضطرب (وات) في تحليل اسباب الهجرة الى الحبشة وبقاء المسلمين هناك ردحا طويلا ، بين خمسة اسباب اولها الهروب من الاضطهاد وثانيها البعد عن خطر الارتداد وثالثها ممارسة النشاط التجاري ورابعها السعي للحصول على مساعدة حربية من الاحباش ثم يشكك في جدوى الاعتماد على هذه الاسباب ويقول « من الصعب مقاومة الفكرة القائلة بوجوب الاطمئنان الى السبب الخاص وهو انه نشا انقسام قوي في الراي داخل امة الاسلام الناشئة »(٦٠) . وفي مكان سابق كان وات قد قال « ويبدو ان اقامة خالد بن سعيد الطويلة في الحبشة تشير الى انه على خلاف مع محمد في سياسته وانه لم يكن يوافق على التوجيه السياسي المتزايد للاسلام ، ولا على اهمية الدور السياسي لمحمد بسبب نبوته ، ولو ان خالدا اهتم بالنواحي السياسية للرسالة لدفن خلافه مع محمد وعاد الى مكة قبل السنة السابعة للهجرة »(٦١) .

يستنتج (وات) من هذه الاخبار القليلة التي ساقها ـ كما يقول صالح العلي ـ حدوث خلاف في الراي بين المسلمين ، وخاصة مع ابي بكر الذي كانت له مكانة قوية عند الرسول (ص) ويرى ان الرسول اوعز لمخالفي ابي بكر بالهجرة الى الحبشة تحاشيا للاخطار التي قد تنجم عن هذا الخلاف . غير ان الادلة التي يسوقها وات ليست قوية ، فان بعض من هاجر الى الحبشة كعثمان وطلحة كانوا من اصحاب ابي بكر . وتروي بعض الروايات ان ابا بكر هو الذي جاء بهم الى الرسول ليسلموا . كما ان اختفاء اسماء بعض المسلمين الاول المهاجرين وعدم لعبهم دورا رئيسيا في السياسة فيما بعد ، وخاصة في عهد ابي بكر ، لا يمكن ان يعزى الى خلافهم معه فقط ، بل قد ترجع الى انشغالهم بامور اخرى في الحياة . والواقع ان ابا بكر استمان بكثير ممن اسلم عند فتح مكة او بعدها وباولاد كثير ممن قاوم الاسلام ، فلو اهمل ابو بكر رجلا لماضيه لكان الاجدر به ان يهمل هؤلاء ولا يسلمهم قيادة الجيوش الاسلامية التي احسنوا قيادتها . والواقع ان الايات القرآنية(٦٢) توحي بان دافع الهجرة هو الاضطهاد الشديد الذي وقع على المسلمين والمحاولات التي بذلها المشركون لفتنتهم ، وانها هي التي دفعت الرسول الى الايعاز اليهم بالهجرة(٦٣) . الامر الذي كاد ان يدفع ابا بكر نفسه الى الهجرة لولا ان اجاره احد الزعماء(٦٤) .

كان المهاجرون ينتمون الى مختلف القبائل : فمن بني هاشم واحد ومن عبد بن قصي واحد ومن نوفل واحد (حليف) ومن عبدشمس اثنان (واحد حليف) ومن تيم اثنان ومن اسد بن عبد العزى اربعة ومن عدي خمسة (منهم واحد حليف) ومن امية سبعة (منهم اربعة حلفاء) ومن زهرة سبعة (منهم ثلاثة حلفاء) ومن عبدالدار سبعة ومن مخزوم ثمانية (منهم واحد حليف) ومن عامر سبعة (منهم واحد حليف) ومن الحارث بن فهر ثمانية ومن جمح اثنا عشر ومن سهم اربعة عشر (منهم واحد حليف)(٦٥) .

وبمجرد القاء نظرة سريعة على هذه القائمة ، تتبدى لنا سعة الدائرة البشرية التي امتدت اليها الدعوة الاسلامية لكي تجتذب اليها عناصر من شتى القبائل المكية ، متجاوزة بذلك دائرة العصبية الضيقة في طريقها الطبيعي صوب الاتساع والشمول لكي تضم العرب جميعا .. وهذا (التنوع) في اصول المهاجرين الى الحبشة يقدم لنا دليلا اخر لما سنذكره فيما بعد بصدد رفض فكرة (الدافع المادي) للانتماء الى الدعوة الجديدة او مقاومتها . فلا يعقل ان يكون هذا الدافع هو الذي قاد هؤلاء الرجال ، ذوي الاصول القبلية العديدة ، والذين ينتمي اغلبهم الى اسر مكية عريقة ، والى الاسلام ، تماما كما لا يعقل ان يكون دافع (العصبية القبلية) وحده هو الرائد في هذا الميدان بما نطرحه علينا القائمة الانفة من (تنوع) في الاصول .

ولن ننسى هنا (المراة المسلمة) التي تحملت اعباء الاضطهاد والهجرة ، جنبا الى جنب مع الرجل ، في سبيل الهدف الذي آمنت به .. وستتكرر هذه المواقف مرة تلو مرة ، في السلم والحرب ، لكي تبين لنا المدى الواسع الذي افسحه الاسلام للمراة والمكانة العالية التي رفعها اليها ، والمسؤوليات الجسيمة التي حملها اياها ، بعد ما كانت تعانيه من ضيق واحتقار واهمال في عهود الجاهلية .

ويذكر (دروزة) انه ، باستثناء النفر من حلفاء قريش ونسائهم ، لا تذكر الروايات اسماء ارقاء ومساكين في جملة المهاجرين . وان تعليل ذلك يعود الى ان ضغط ، زعماء قريش كان اكثر شدة على ابناء اسرهم لانهم تحسبوا من عواقب اسلامهم بالنسبة لعامة الناس وسائر شباب الاسر ، في حين انه لم يكن ما يخشونه من مثل ذلك من المساكين والارقاء والفقراء والغرباء، وان هذه صورة مخالفة لما قد يكون في الاذهان(٦٦) .

عندما رات قريش ان اصحاب رسول الله (ص) قد امنوا واطمانوا بارض الحبشة قرر زعماؤها ان يبعثوا في طلبهم رجلين قديرين الى النجاشي لكي يردا المهاجرين فيمارسوا معهم من جديد الفتنة والاضطهاد . اتجه الموفدان عمرو بن العاص وعبدالله بن ابي ربيعة الى الحبشة وهما يحملان الهدايا للنجاشي ولبطارقته . وبدا بالبطارقة فسلما كلا هديته وقالا له : انه قد لجا الى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومكم ، ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم ، وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قومهم ليردوهم اليهم ، فاذا

(٥٩) دروزة : سيرة الرسول ١/٢٧٢ ـ ٢٧٣ . وانظر بوهل في Ency. Art. Muhammad

(٦٠) انظر بالتفصيل وات : محمد في مكة ص١٨٢ ـ ١٨٩ .

(٦١) المصدر السابق ص ١٦٢ .

(٦٢) انظر العنكبوت ١ ـ ٣ ، ١٠ البروج ١٠ القصص ٥٧ الزمر ١٠ النحل ٤١ ، ١١٠ .

(٦٣) العلي : محاضرات ص ١/٣٦٨ .

(٦٤) البلاذري : انساب ١/٢٠٥ ـ ٢٠٦ وانظر هامش رقم ٥/١

(٦٥) المصدر السابق ص ٣٦٤ .

(٦٦) دروزة : سيرة الرسول ١/٢٧٢ .

كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بان يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم اعلم بما عابوا عليهم . فقال البطارقة :نعم .وعندما اتجه عمرو ورفيقه الى النجاشي وعرضا عليه طلبهما بتسليم المهاجرين، وقالت البطارقة من حوله : صدقا ايها الملك ، قومهم اعلم بما عابوا عليهم فاسلمهم اليهما ، غضب النجاشي وقال : لا والله اذن لا اسلمهم اليهما ، ولايكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي ، حتى ادعوهم فاسالهم عما يقول هذان في امرهم ، فان كانوا كما يقولون اسلمهم اليهما ، وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهما واحسنت جوارهم ما جاوروني(٦٧) .

وما لبث النجاشي ان دعا المهاجرين لحضور مجلسه ، وعندما سالهم عن طبيعة الدين الذي دفعهم الى مفارقة قومهم تقدم جعفر بن ابي طالب وقال « ايها الملك ، كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام، وناكل الميتة ،ونأتي الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبده نحن واباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان ، وامرنا بصدق الحديث ، واداء الامانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، واكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وامرنا ان نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام .. فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله . فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله تعالى .. فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك .. ورجونا الا نظلم عندك ايها الملك » . فطلب منه النجاشي ان يقرأ عليه شيئا مما جاء به الرسول (ص) عن الله ، فتلى عليه صدرا من سورة مريم . فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت اساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم ، وقال النجاشي « انهذا والذي جاء به عيسىليخرج من مشكاة واحدة ،انطلقا فلا والله لا اسلمهم اليكما »(٦٨) .

لكن عمرو بن العاصلم ييأس ،وعاد الى النجاشيفي اليوم التالي وقال له : انهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما ، فارسل اليهم فسلهم عما يقولون فيه .فاستدعاهم وسالهم ، فاجابه جعفر : « نقول فيه الذي جاءنا به نبينا (ص) : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول » فتناول النجاشي عودا وقال : والله ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود . فابدى بطارقته استياءهم فردهم واعلن عن حمايته للمهاجرين وقال لمن حوله : ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها ، فغادر عمرو ورفيقه ارض الحبشة عائدين الى مكة(٦٩) .

بلغت طلائع المهاجرين ، بعد شهرين من اقامتهم في الحبشة ، انباء تشير الى ان اهل مكة قد اعتنقوا الاسلام ، فقفل بضعة وثلاثون رجلا منهم عائدين الى بلدهم ، وما ان اقتربوا منها حتى ايقنوا كذب تلك الانباء ، فتسلل بعضهم مستخفيا الى مكة ، ودخل اخرون بجوار بعض المشركين ، ورجعت فئة ثالثة من حيث اتت(٧٠) . وقد ظل معظم المهاجرين في ارض الحبشة حتى السنة السادسة للهجرة حيث عقد الرسول (ص) مع قريش صلح الحديبية وبعث الى النجاشي عمرو بن امية الضمري يطلب اعادة المهاجرين الى بلادهم فحملهم في سفينتين وقدم بهم على الرسول (ص) في اعقاب فتحه خيبر في مطلع السنة السابعة . ولقد سر الرسول(ص) سرورا عظيما لمقدمهم حتى انه قبل زعيمهم جعفر بن ابي طالب واحتضنه قائلا : ما ادري بأيهما انا اسر ، بفتح خيبر ام بقدوم جعفر ؟ وكان عدد العائدين من الحبشة قريبا من العشرين رجلا وعددا من النساء والاطفال الذين ولدوا هناك ، فضلا عن بعض الارامل اللواتي توفي ازواجهن أيام الاقامة في الحبشة(٧١) . وكان بعض المهاجرين قد غادر الحبشة في بداية عهد المسلمين بالهجرة الى المدينة فمات بعضهم في مكة ، واعتقل البعض الاخر ، وتمكنت فئة ثالثة من اللحاق بالمدينة والاشتراك في معركة بدر وما تلاها من وقائع(٧٢) .

(٧)

عندما ايقنت قريش انها قد هزمت في محاولتها استرداد المهاجرين الى الحبشة ، وان الاسلام اخذ ينتشر بين القبائل ، فضلا عن اسلام عمر بن الخطاب الذي عزز جانب المسلمين في صراعهم ضد الوثنية(٧٣) حتى ان عبدالله بن مسعود كان يقول « ما كنا نقدر ان نصلي عند الكعبة حتى اسلم عمر بن الخطاب ، فلما اسلم قاتل قريشا ، حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه »(٧٤) . والحق ـ كما يقول ارنولد ـ ان اسلام عمر بن الخطاب يعد نقطة تحول في تاريخ الاسلام ، فقد استطاع المسلمون ان يسلكوا منذ ذلك الحين مسلكا اشد جراة ، وبدا المؤمنون يجهرون بتادية شعائر الاسلام جماعات حول الكعبة(٧٥) حينذاك عقدت قريش اجتماعا في مطلع السنة السابعة من بعثة الرسول (ص) ، قرر فيه زعماؤها ان يعتمدوا اسلوبا جديدا في مجابهة الحركة الاسلامية يقوم على مقاطعة بني هاشم وبني عبدالمطلب الذين كان ابو طالب قد دعاهم الى ما هو فيه من منع الرسول (ص) دون قريش ، وكل من يساندهم وينتمي اليهم مسلمين ومشركين ، وأن تكون هذه المقاطعة شاملة لكافة المعاملات والعلائق الاجتماعية والمالية .

ويذكر البلاذري ان قريشا توعدت بقتل الرسول (ص) « سرا او علانية » بعد أن اصر على مهاجمة الهتهم فقال ابو طالب « اللهم ان قومنا قد آبوا الا البغي ، فعجل نصرنا وحل بينهم وبين قتل ابن اخي » وقالت قريش : لا صلح بيننا وبين بني هاشموبنيالمطلب ولا رحم ولا حرمة الا على قتل هذا الرجل

---

(٦٧) ابن هشام ص ٧٣ ـ ٧٥ .

(٦٨) المصدر السابق ص ٧٥ ـ ٧٦ اليعقوبي : تاريخ ٢/٢٣ ـ ٢٤ .

(٦٩) ابن هشام ص ٧٦ ـ ٧٧ الطبري : تاريخ ٢/٣٢٥ المقدسي ٤/١٥١ ـ ١٥٢ ابن الاثير : الكامل ٢/٧٩ ـ ٨٢ ابن كثير : البداية ٣/٧٠ ـ ٧٩ .

(٧٠) ابن هشام ص ٨٨ ـ ٨٩ ابن سعد ١/١٣٨/١ البلاذري : انساب ١/٢٢١ ـ ٢٢٨ الطبري : تاريخ ٢/٣٤٠ .

(٧١) ابن هشام ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ الطبري : تاريخ ٢/٣٤٣ ابن سعد ٢/١/٧٨ .

(٧٢) ابن سعد ١/١٣٩/١ وعن الهجرة الى الحبشة والعودة منها انظر وات : محمد في مكة ، ملحق (د) و (ز) .

(٧٣) انظر عن تفاصيل اسلامه ابن الاثير : الكامل ٢/٨٣ ـ ٨٧ وابن كثير : البداية ٣/٧٩ ـ ٨٢ و

(٧٤) ابن هشام ص ٧٩ .

(٧٥) الدعوة الى الاسلام ص ٣٩ ـ ٤٠ .

الكذاب السفيه . وعمد ابو طالب الى الشعب بابن اخيه وبني هاشم وبني المطلب ، وكان امرهم واحدا ،وقال: نموت من عند اخرنا قبل ان يوصل الى رسول الله (ص) .. وخرج ابو لهب الى قريش فظاهرهم على بني المطلب ، ودخل الشعب من كان من هؤلاء مؤمنا او كافرا(٧٦) .

كتبت قريش صحيفة بالمقاطعة ، وتعاهدت على تنفيذ بنودها وعلقتها في جوف الكعبة توكيدا على انفسهم، وقد جاء فيها « باسمك اللهم . على بني هاشم وبني المطلب على الا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ولا يعاملوهم حتى يدفعوا اليهم محمدا فيقتلوه »(٧٧) . فلما سرى النبأ في مكة انضم بنو هاشم وبنو المطلب الى ابي طالب ودخلوا معه الشعب المسمى باسمه(٧٨) .

استمرت المقاطعة سنتين وعدة اشهر ، كان لا يصل المسلمين خلالها شيء الا سرا ، يحمله اليهم مستخفيا من اراد مساعدتهم من قريش بدافع من عصبية او نخوة او عطف . ولاقى المسلمون ونبيهم (ص) خلال ذلك الاما قاسية من الجوع والخوف والعزلة والحرب النفسية(٧٩) ولا بد من الاشارة هنا الى ان حلف الفضول الذي عقدته بعض بطون قريش وتعاهدت فيه على منع الظلم في مكة ، قد تعطل ، فلم يتناد اصحابه بنصرة المظلومين ممن كان يقع عليهم العذاب ويبدو ان الملا من قريش كان يخشى ان يطالب بنو هاشم حلفاءهم من اصحاب الفضول بالوقوف الى جانبهم ، ومن اجل ذلك كان حرصهم على الاجماع وعلى التواثق على ذلك في صحيفة مكتوبة . وقد استجابت كل البطون القريشية ـ ما عدا بني هاشم وبني المطلب ـ لانهم اعتبروا الدعوة الاسلامية ذات خطر على مكة يهدد الجميع بالخراب لذلك اجتمعوا وتضامنوا على ايقاف هذا التيار(٨٠) .

شددت الزعامة الوثنية من حملتها ضد النبي (ص) ، وراحت تهمزه وتهزأ به ، وتخاصمه وتدفع من يرميه بالحجارة ويضع في طريقه الشوك . وفي الجهة المقابلة مضى الرسول (ص) في دعوته لا يصده عائق ، وتنزلت ايات القرآن متتالية كالحمم تقرع الرؤوس الوثنية واحدا واحدا .. ابو لهب يدفع زوجته أم جميل بنت حرب لكي تحمل الشوك وتطرحه على طريق رسول الله (ص) حيث يمر فيجابهه القرآن (تبت يدا ابي لهب وتب.ما اغنى عنه ماله وما كسب .سيصلى نارا ذات لهب . وامراته حمالة الحطب . في جيدها حبل من مسد) .. وامية بن خلف يقف في درب الرسول حتى اذا مر به همزه ولزه ، فيندد به القرآن (ويل لكل همزة لمزة . الذي جمع مالا وعدده . يحسب ان ماله اخلده . كلا لينبذن في الحطمة . وما ادراك ما الحطمة. نار الله الموقدة . التي تطلع على الافئدة . انها عليهم مؤصدة . في عمد ممدة) .. وابو جهل بن هشام يجابه الرسول (ص) ويقول له : « والله يا محمد لتتركن سب آلهتنا او لنسبن الهك الذي تعبد » فتجيء تعليمات القرآن « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » .. والنضر بن الحارث بن كلدة ، يعقب الرسول في مجالسه فيحدثهم عن ملوك فارس وعظمتهم ثم يقول « والله ما محمد باحسن حديثا مني ، وما حديثه الا اساطير الاولين اكتتبها كما اكتتبها محمد ، فيسخر به القرآن (وقالوا : اساطير الاولين ، اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا . قل انزله الذي يعلم السر في السماوات والارض انه كان غفورا رحيما) ويندد به (ويل لكل افاك اثيم يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا ، فبشره بعذاب اليم) .

والاخنس بن شريق الثقفي ، احد اشراف القوم ، وممن يستمع لكلامهم ، يتصدى لرسول الله ويرد عليه ، فينزل الله فيه (ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم . عتل بعد ذلك زنيم) .. والوليد بن المغيرة يتساءل : اينزل على محمد ، واترك وانا كبير قريش وسيدها ؟ ويترك ابو مسعود عمرو بن عمر الثقفي سيد ثقيف ، ونحن عظيما القريتين ؟ فيجيبه القرآن (وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. اهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ....)

وابي بن خلف يجد رفيقه عتبة بن ابي معيط ، يجلس الى الرسول ويستمع منه ،فيقسم الا يكلمه حتى ياتيه فيتفل في وجهه ، فيفعل ذلك عدو الله ، فيقرعه القرآن (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا .لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا ...)

ويمشي ابي بن خلف الى الرسول بعظم بال ويقول له : انت تزعم ان الله يبعث هذا بعدماارم ؟ ويلته ابي في يده ثم ينفخه في الريح بوجه رسولالله ، فيجيبه الرسول : نعم انا اقول ذلك ، يبعثه الله واياك بعد ما تكونان هكذا ، ثم يدخلك الله النار !! ويرد القرآن : (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال : من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل : يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم . الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون) .

ويعترض الرسول (ص) عدد من رؤوس الوثنية وذوي الكلمة في قومهم ، فيقولون : يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد ، فنشترك نحن وانت في الامر ، فان كان الذي تعبد خيرا مما نعبد كنا قد اخذنا بحظنا منه ، وان كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد اخذت بحظك منه .. فيامره القرآن (قل يا ايها الكافرون . لا اعبد ما تعبدون . ولا انتم عابدون ما اعبد . ولا انا عابد ما عبدتم . ولا انتم عابدون ما اعبد . لكم دينكم ولي دين) .. واخرون يضعون في قدره الذي يطبخ فيه رحم شاة او يطرحونها عليه وهو يصلي ، فكان يخرج به في اعقاب صلاته ويقول : يا بني عبد مناف اي جوار هذا ؟ ثم يلقيه في الطريق(٨١)

طالت ايام الحصار ، واشتد الاذى بالمنقطعين في شعب ابي طالب ، فلم يكن لاحد من قريش ان يزوجهم او يتزوج منهم ، ولا ان يبيعهم او يبتاع منهم ، فعصرهم الجوع عصرا . وكان المحاصرون لا يخرجون من الشعب طيلة سني الحصار « الا من موسم الى موسم حتى بلغهم الجهد ، وتضاغى صبيانهم فسمع صغارهم من وراء الشعب . وقال عبدالله بن عباس : حصرنا

---

(٧٦) انساب الاشراف ١/٢٣٠ .

(٧٧) محمد حميدالله : الوثائق ص ٢٦ .

(٧٨) ابن هشام ص ٨٢ ـ ٨٣ الطبري : تاريخ ٢/٣٢٥ ـ ٣٢٦ ابن سعد ١/١٣٩ ـ ١٤٠ البلاذري : انساب ١/٢٢٩ ـ ٢٣٠ اليعقوبي : تاريخ ٢/٢٤ ـ ٢٥ ابن الاثير : الكامل ٢/٨٧ ـ ٩٠ ابن كثير : البداية ٣/٨٤ ـ ٨٧ .

(٧٩) ابن هشام ص ٨٣ الطبري : تاريخ ٢/٣٢٦ البلاذري : انساب ١/٢٣٤ .

(٨٠) احمد ابراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

(٨١) ابن هشام ص ٨٢ ـ ٨٨ الطبري : تاريخ ٢/٣٢٧ ، ٣٤٣.

في الشعب ثلاث سنين ، وقطعوا عنا الميرة حتى ان الرجل ليخرج بالنفقه فما يباع شيئا حتى مات منا قوم »(٨) ولم يكن مـا يجيئهم سرا ليسكت نداء الجوع الذي لا يرحم ، حتى ان احدهم اضطر يوما ان يطحن قطعة من جلد بعير ويمزجها بالماء ويلتهمها التهاما ..

وبدا بعض رجالات قريش وشبابها يتذمرون للظلم الصارخ الذي نزل بحماة الرسول من بني هاشم وبني المطلب ، فسعوا الى وقف القطيعة ، وتمزيق الصحيفة الغادرة ، واعادة الامور الى مجاريها . وكان على راس هؤلاء هشام بن عمرو ، الذي تصله ببني هاشم صلة من قرابه ، وكان ذا شرف في قومه ، وكان قد بذل جهده ايام الحصار في ايصال الطعام سرا الـى الشعب .. فلقد ، اتصل بزهير بن ابي امية ، وكانت امـه عاتكة بنت عبدالمطلب ، وقال له : يا زهير ، اقد رضيت ان تاكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء ، واخوالك حيث قد علمت لا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ؟ اما اني لاحلف بالله ان لو كانوا اخوال ابي الحكم بن هشام ثم دعوته الى مثل ما دعاك اليه منهم ما اجابك ابدا . فاجابه زهير : فماذا اصنع؟ انما انا رجل واحد ، والله ان لو كان معي رجل اخر لقمت في نقضها حتى انقضها . قال هشام : قد وجدت رجلا . قال : فمن هو ؟ اجابه هشام : انا . قال زهير : ابغنا رجلا ثالثا . وتمكن هشام من اقناع ثلاثة رجال اخرين هم المطعم بن عدي وابـو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود بن المطلب ، بضـرورة تمزيق الصحيفة وانهاء المقاطعة . واتعد الرجال الخمسة على اللقاء ليلا باعلى مكة . وهناك اجمعوا امرهم وتعاقدوا عـلى القيام بتمزيق الصحيفة . وقال زهير : انا ابدؤكم فاكون اول من يتكلم . وفي صباح اليوم التالي اقبل زهير على الناس وقال : يا اهل مكة ، اناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم ؟ والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة . فرد عليه ابو جهل : كذبت ، والله لا تشق !! قال زمعة بن الاسود : انت والله اكذب ، مارضينا كتابتها حيث كتبت . وسرعان ما ايده رفاقه الثلاث . فقال ابو جهل : هذا امر قضي بليل !! وما لبث المطعم ان قام الى الصحيفـة فمزقها(٨٣) . ثم لبس ورفاقه السلاح واتجهوا الى الشـعب وامروا بني هاشم وبني المطلب بالخروج الى مساكنهم ففعلوا . وعندما رات قريش ذلك اسقط في ايديها وعرفت انهم لـن يسلموهم(٨٤) .

(٨)

ما لبث الرسول (ص) ان فجع باعز القربائه اليه : زوجته البرة خديجه وعمه ابي طالب ، ففقد بذلك سنديه النفسـي والاجتماعي ، وحزن لفقدهما حزنا عميقا ، حتى ان ذلك العام ـ الذي سبق الهجرة بثلاث سنين ـ سمي بعام الحـزن . وانتهزت قريش الفرصة فالحقت بالرسول (ص) من الاذى ما لم تكن تطمع به في حياة ابي طالب . وقد اعترضه ـ مرة ـ احد سفهاء قريش في الطريق ، ونثر على راسه ترابا ، فدخل الرسول بيته والتراب على راسه فقامت احدى بناته لتغسله عنه وهي تبكي ورسول الله يقول لها : لا تبكي يا بنية فان الله مانـع اباك(٨٥) !!

ونظرا الى ان الحجة الرئيسية للمقاطعة ـ التي لم يمض عليها كبير وقت ـ هي حماية (بني هاشم) للمسلمين ، وانها كان لها تاثير سيء في اعمال بني هاشم ، فالظاهر انهم ادركوا الاضرار التي تنجم عن استمرار حمايتهم للرسول (ص) . ويبدو انهم بعد موت ابي طالب بداوا يتخلون عن تلك الحماية . ولعل ابا طالب هو العامل الاكبر في استنهاض همم بني هاشم لمساندة الرسول وحمايتهم له ، فلما مات خففت هاشم من تاييدها . وربما ادركت ـ بعد المقاطعة ـ ما يصيبها من اضرار ماديـة ومعنوية اذا استمرت في حمايته ، لذا اخذت تتخلى عن ذلك ، وينجلي هذا واضحا في اعقاب رجوع الرسول (ص) مـن الطائف(٨٦) .

* * *

ادرك الرسول (ص) ان القيادة الوثنية في مكة مصرة عـلى الوقوف بوجه دعوته ماضية في الحاق اذاها به ، واضطهـاد اتباعه وفتنتهم عن دينهم ، فراى ان يغادرها الى مكان اخـر ينشر فيه دعوة الاسلام ويطلب من اهله النصرة والمنعه ، فوقع اختياره على الطائف حيث تقطن ثقيف كبرى القبائل العربيـة بعد قريش . فغادر مكة في شوال من السنة العاشرة للبعثة ، يصحبه زيد بن حارثة . ولما انتهى الى هناك عمد الى نفر مـن ثقيف هم يومئذ سادتها واشرافها ، فجلس اليهم ودعاهم الـى الله ، وعرض عليهم المهمة التي جاء من اجلها وهي ان ينصروه على الاسلام ويمنعوه من قومه ، فلم يلتفتوا اليه وعلقوا عـلى دعوته ساخرين . فقال احدهم : انني امزق ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الاخر : اما وجد الله احدا يرسله غيرك ؟ وقال الثالث : والله لا اكلمك ابدا ، لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام ،ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي ان اكلمك !!

فغادرهم الرسول (ص) بعد ان طلب منهم ان يكتموا مـا جرى بينه وبينهم ، اذ كره ان يبلغ قومه ذلك فيجراهم عليه . لكن زعماء ثقيف لم يستجيبوا لطلبه واغروا به سفهاءهـم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ، ويرمونه بالحجارة ، فلم يكن يرفع قدما ويضع اخرى الا على الحجارة ، حتى اجتمع عليه الناس والجاوه الى بستان لعتبة وشيبه ابني ربيعة ، وكانا هناك ، فتفرق عنه سفهاء الطائف وقدماء تنزفان دما ، فعمد الى ظل كرمة ونادى ربه « اللهم اليك اشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس .. يا ارحم الراحمين ، انت رب المستضعفين وانت ربي ، الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ام الى عدو ملكته امري ؟ ان لم يكن بك غضب علي فلا ابالي ، ولكن عافيتك هي اوسع لي . اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات ، وصلح عليه امر الدنيا والاخره ، من ان تنزل بـي غضبك ، او يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك » !! فلما راه ابنا ربيعة ، وشاهدا ما لقي، تحركت له رحمهما ، فطلبا من غلام نصراني لهما يدعى (عداس)

---

(٨٢) البلاذري : انساب ٢٣٤/١ .

(٨٣) ابن هشام ص ٨٩ ـ ٩١ الطبري ٣٤١/٢ ـ ٣٤٣ البلاذري انساب ٢٣٥/١ ـ ٢٣٦ ابن الاثير : الكامل ٨٧/٢ ـ ٩٠ .

(٨٤) ابن سعد ١٤١/١/١ البلاذري : انساب ٢٣٦/١ .

(٨٥) ابن هشام ص ٩٩ الطبري : تاريخ ٣٤٣/٢ ـ ٣٤٤ ابـن سعد ١٤١/١/١ اليعقوبي تاريخ ٢٨/٢ ـ ٢٩ ابن الاثير : الكامل ٩٠/٢ ـ ٩١ وانظر البلاذري : انساب ٢٣٦/١ ـ ٢٣٧ .

(٨٦) العلي : محاضرات ٢٧٥/١ ـ ٢٧٦ .

ان يحمل اليه طبقا من عنب . فلما اتى به الغلام ووضعه بين يديه ، مد الرسول (ص) يده قائلا : باسم الله ، ثم بدا باكل العنب ، فعجب الغلام لسماعه عبارة لم يالف سماعها في ارض ولنية ، فقال للرسول (ص) : والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلاد . فساله الرسول : ومن اي البلادانت ،ومادينك؟ اجاب : نصراني ، من اهل نينوى . فساله الرسول : من قرية الرجل الصالح يونس بن متي ؟ اجاب الغلام دهشا : وما يدريك ما يونس بن متي ؟ قال الرسول : ذاك اخي ،كان نبيا وانا نبي . فاكب عداس على رسولالله (ص) يوسعه لثما وتقبيلا .. وما ان غادر الرسول البستان حتى حذره سيداه : ويحك يا عداس ، لا يصرفنك عن دينك ، فان دينك خير من دينه(٨٧) !!

عندما قفل الرسول (ص) عائدا الى مكة كانت الامور هناك قد بلغت حدا كبيرا من السوء ووجد الرسول (ص) نفسه مضطرا الى ان يحتمي بجوار احد من زعماء قريش ، ريثما يواصل طريق الدعوة .. فبعث الى مكة رجلا يلتمس له هذا الجوار ، وعرض الرجل الامر على الاخنس بن شريق وسهيل بن عمرو فرفضا متعللين ببعض الاسباب ، ووافق المطعم بن عدي على الجوار ، ولبس وبنوه واقرباؤه السلاح استعدادا لكل طارىء . ومن ثم دخل الرسول مكة وراح يواصل المهمة الملقاة على عاتقه . وجابهه – يوما – جماعة من القرشيين بزعامة ابي جهل ، بسخرياتهم المالوفة ، فصرخ الرسول في وجوههم « ... اما انت يا ابا جهل فوالله لا ياتي عليك غير كبير من الدهر حتى تضحك قليلا وتبكي كثيرا . واما انتم يا معشر الملا من قريش ، فوالله لاياتي عليكم غير كبير من الدهر حتى تدخلوا فيما تنكرون ، وانتم كارهون »(٨٨) .

لم ييأس الرسول (ص) وقرر ان يستمر في عرض دعوته على قبائل العرب القادمة الى مكة في مواسم الحج والعمرة والتجارة، ويخبرهم انه نبي مرسل ، ويسالهم ان يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم عن الله ما بعثه به . وكان يتبعه عمه ابو لهب الى منزل كل قبيلة يذهب اليها ، فيناديهم « ان هذا انما يدعوكم الى ان تسلخوا اللات والعزى من اعناقكم .. الى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه »(٨٩) .

عرض الرسول دعوته وحمايته على كندة وبني كلب فابوا عليه .. وعرضها على بني عامر بن صعصعة ، فساله احد رجالها (بيحرة بن فراس) : ارايت ان نحن بايعناك على امرك ثم اظهرك الله على من خالفك ، ايكون لنا الامر من بعدك ؟ فاجاب الرسول : الامر الى الله يضعه حيث يشاء ، فقال الرجل : افنهدف لخورنا للعرب دونك ، فاذا اظهرك الله كان الامر لغيرنا ؟ لا حاجة لنا بامرك !! كما عرض الرسول دعوته وحمايته على بني حنيفه ، فلم يكن احد من العرب اقبح عليه ردا منهم .. وعرضها على بني محارب وفزارة وغسان ومرة وسليم وعبس وبني نضر وبني البكاء والحارث بن كعب وعذرة والحضارمة ، دون ان تستجيب له احداها .. وهكذا مضى رسول الله (ص) يعرض الاسلام ويطلب نصرة القبائل واحدة واحدة وهي تابى عليه وتصد عن هديه ، ولم يكتف بذلك بل راح يتصدى لكل قادم الى مكة له مكانة في قومه .. يعرض عليه مبادىء الدين الجديد ويدعوه الى الله(٩٠) .

---

(٨٧) ابن هشام ص ١٠١ – ١٠٣ الطبري : تاريخ ٢٤٤/٢ – ٢٤٦ ابن سعد ١٤٢/١/١ البلاذري : انساب ٢٣٧/١ اليعقوبي : تاريخ ٢٩/٢ – ٣٠ المقدسي ١٥٥/٤ – ١٥٦ ابن الاثير : الكامل ٩١/٢ – ٩٣ ابن كثير : ١٣٥/٣ – ١٣٧ .

(٨٨) الطبري ٣٤٧/٢ – ٣٤٨ البلاذري : انساب ٢٣٧/١ وانظر ابن سعد ١٤٢/١/١ .

(٨٩) ابن هشام ص ١٠٤ – ١٠٥ الطبري : تاريخ ٣٤٨/٢ – ٣٤٩ ابن سعد ١٤٥/١/١ .

(٩٠) ابن هشام ص ١٠٤ – ١٠٧ الطبري ٣٤٩/٢ – ٣٥١ ابن سعد ١٤٥/١/١ البلاذري : انساب ٢٣٧/١ – ٢٣٨ ابن الاثير : الكامل ٩٣/٢ – ٩٤ ابن كثير : البداية ١٣٨/٣ – ١٤٦ .

المصادر والمراجع

ابن الاثير : ابو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ) .
الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت – ١٩٦٥ – ١٩٦٧ م .

البلاذري : احمد بن يحي بن جابر (ت ٢٧٩ هـ) .
انساب الاشراف ، الجزء الاول ، تحقيق د . محمد حميدالله ، معهد المخطوطات ودار المعارف ، القاهرة – ١٩٥٩ م .

الحلبي : علي بن برهان الدين الشافعي
انسان العيون في سيرة الامين المأمون (السيرةالحلبية)، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة – ١٩٦٢ م .

ابن سعد : محمد (ت ٢٣٠ هـ)
كتاب الطبقات الكبير ، تحقيق ادوار سخاو ورفاقه ، مصور عن طبعة ليدن ، برلن – ١٣٢٥ هـ (مؤسسة النصر – طهران) .

الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) .
تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق ابي الفضل ابراهيم ، دار المعارف القاهرة – ١٩٦١ – ١٩٦٢ م .

ابن كثير : عماد الدين ابو الفدا اسماعيل (ت ٧٧٤ هـ) .
البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ، القاهرة – ١٩٣٢ م .

المبارك : ابو العباس زين الدين الزبيدي

التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح للبخاري، ط ٢ ، دار الارشاد ، بيروت ـ ١٣٨٦ هـ .

المسعودي: علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ) .

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق اسعد دافر ، دار الاندلس بيروت ـ ١٩٦٥ م .

المقدسي : المطهر بن طاهر

كتاب البدء والتاريخ (المنسوب للبلخي) ، تحقيق هوار ، باريس ـ ١٨٩٩ م .

ابن هشام: ابو محمد عبدالملك (ت ٢١٨ هـ) .

تهذيب سيرة بن هشام ، عبدالسلام هارون ، ط ٢ ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ـ ١٩٦٤ .

اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب (ت ٢٩٢ هـ) .

تاريخ اليعقوبي ، تحقيق محمد بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية ، النجف ـ ١٩٦٤ م .

ارنولد : سير توماس و .

الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ورفاقه ، ط ٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ـ ١٩٧١ م .

حميدالله: محمد

مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ط ٣ ، دار الارشاد ، بيروت ـ ١٩٦٩م .

درمنغم : اميل

حياة محمد ، ترجمة عادل زعيتر ، ط ٢ ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ـ ١٩٤٩ م .

دروزة : محمد عزة

سيرة الرسول ، ط ٢ ، مطبعة عيسى البابي ، القاهرة ـ ١٩٦٥ م .

الشريف : احمد ابراهيم

مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، ط ٢ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ـ ١٩٦٥ م .

علي : جواد

تاريخ العرب في الاسلام (السيرة النبوية) ، مطبعة الزعيم ، بغداد ـ ١٩٦١ م .

العلي : صالح احمد

محاضرات في تاريخ العرب ، ج ١ ، ط ٣ ، مطبعة الارشاد ، بغداد ـ ١٩٦٤

وات : مونتكمري

محمد في مكة ، ترجمة شعبان بركات ، المكتبة العصرية بيروت ـ (؟) .